تعالى ام جاءهم في هذا القول ما لم يات اباءهم الاولين الذين بعد اسماعيل وقبله
ثالثها ان لا يكونوا عالمين بامانته وحسن حاله قبل ادعائه النبوة وهو
المراد من قوله تعالى ام لم يعرفوا رسولهم اي الذي اتاهم بهذا القول الذي
لا تقول مثله وهم يعرفون نسبه وصدقه وامانته وما جاءهم من معالي
الاخلاق حتى انهم لا يجدون فيه حقت الحقايق نقيصة يذكرونها ولا
وصمة يستحلونها كما دلت عليه الاحاديث الصحاح منها حديث ابي سفيان
ابن حرب الذي في اول البخاري في سوال هرقل ملك الروم له عن
شانه صلى الله عليه وسلم وقد اتفقت كلمتهم على تسميته الامين فهم
اي نسبب عن جهلهم به انهم له اي نفسه او القول الذي اتى به
منكرون فيكونوا ممن جهل الحق لجهل حال الاتي به وفي هذا غاية
التوبيخ لهم لعلمهم بجهلهم وبيان وقتهم بانهم يعرفون انه اصدق الخلق
واعلاهم في كل معنى جميل ثم كذبوه رابعها ان يعتقدوا فيه الجنون
فيقولون انما حمله على ادعائه الرسالة جنونه وهو المراد من قوله تعالى
ام يقولون اي بعد تدبر ما اتى به وعدم عثورهم فيه على وجه من
الوجوه الطعن به اي رسولهم جنة اي جنون فلا يوثق به ولما كانت
هذه الاقسام منتفية عنه لانهم اعرف الناس بهذا النبي الكريم
وانه اكملهم خلقا واشرفهم خلقا واطهرهم شيما واعظمهم هما وارجحهم
عقلا وامتنهم رايا وارضاهم قولا واصوبهم فعلا اضرب عنها وقال
تعالى بل اي انهم لم يتخلصوا عن سماع الايات وتدبرها وتحيروا الا
عتقادهم ما مضى وانما فعلوا ذلك لان هذا الرسول الكريم جاءهم
بالحق اي القران المشتمل على التوحيد وشرايع الاسلام وذلك
الحلال لا يحمل الا اشتهاءهم فيه للتعرير بالحق من تصديق السلفي ومجي
الرسل للامم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والامانة وان اكثر

هم

٢١٩

هم وبل للانتقال واكثرهم اي والحال ان اكثرهم للحق كارهون متابعة للاهوا
الرديئة والشهوات البهيمية عنادا وانما قيد تعالى الحكم بالاكثر لان
بعضهم يتركه جهلا وتقليدا وخوفا من انتقاده هيبا وبعضهم يتبعه توفيقا
من الله تعالى وتاييدا ثم بين تعالى ان اتباع الهوى يودي الى الفساد
العظيم بقوله تعالى ولو اتبع الحق اي القران اهواءهم بان جاء بما يهوونه
من الشرك والولد لله تعالى الله عن ذلك لفسدت السموات على
علوها واحكامها والارض على كثافتها وانتظامها ومن فيهن على كثرتهم
وانتشارهم وقوتهم اي خرجت عن نظامها المشاهد بسبب ادعائهم
تعدد الالهة لوجود التمانع في الشي عادة عند تعدد الحاكم كما سبق
تقريره في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا بل اتيناهم بعظمتنا
بذكرهم اي بالقران الذي فيه ذكرهم وشرفهم وقيل الذي تمنوه
بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين فهم عن ذكرهم اي الذي هو شرفهم
معرضون لا يلتفتون اليه ثم بين تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يطمع فيهم حتى يكون ذلك سببا للنفرة بقوله تعالى ام تسالهم اي
على ما جئتهم به خرجا اي اجرا وقرا حمزة والكسائي بفتح الراء وبعدها
الف والباقون بسكون الراء ولما كان الانكار بمعناه النفي حسن موقع
فالسبب في قوله تعالى فخراج ربك اي رزقه في الدنيا وثوابه في
العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم وقرا
ابن عامر بسكون الراء والباقون بفتحها والف بعدها قال ابو عمرو بن
العلا الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه قال الزمخشري
والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة اي
الرقبة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرا
خرجا فخراج ربك يعني ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء